منهج نقد النص في الكتاب المقدسعند إمام الحرمين أبي المعالى الجويني

بحثمُحَكَّمتحكيماعلمياومنشوربحوليةكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية– جامعة الأزهر– فرع طنطا– العدد الثامن–٢٠١٦م)

د /عادل أمين حافظ فرج

أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد

بكلية دار العلوم — جامعة الفيوم

حينما تعبث الأيدي بالوحي الإلهي، فتمتد إليه بالتحريف؛يكون التصدي لذلك واجبا،وهو ما تقاعس عنه اليهود والمسيحيون؛ فأضحوا غير أمناء على ما استؤمنوا عليه، مما أدى إلىخللٍ في معتقداتهموانحرافٍ في عبادتهم، ناهيك عما لحق بسلوكياتهم من انحلال أخلاقي.

ولما كان المسلم مأمورا ببيان ذلك الانحراف وما ترتب عليه من فساد لا سيما في المعتقدات، قياما بواجب الدعوة إلى الله تعالى، وتبرئة لساحة الوحي الإلهي من تحريفات المبطلين؛تصدَّفريقٌ من علماء المسلمين جانب إثبات تلك التحريفات.وقد كان إمام الحرمين أبو المعالي الجويني — رحمه الله – واحدا ممن قاموا بذلك الواجب، فوقف مفندا لما طرأ على الكتاب المقدس –عند اليهود والنصارى – من تحريفات تمجُّها الأسماع والفطر السليمة، فضلا عن العقول الصريحة؛واستطاع أن يبرهن على أن كتابهم الذي يقدسونه يحمل بين جنباته دلائل هدمه وبطلان قدسيته المزعومة؛ فصار بذلك رائدا من رواد منهج نقد النص الديني في القرن الخامس الهجري، متقدما على علماء الغرب الذين خاضوا التجربة ذاتها – مع مطلع القرن السابع عشر الميلادي – فاستفادوا منهو من غيره، لكن للأسف كسائر الكتب الغربية تجاهلوا ذلك؛ فافتقدوا بذلك الأمانة العلمية.

وأنهبالظرفيمناهجالبحثالحديثةيلاحظأنهنقدالنصوصيندرجفيإطارالبحثالتاريخي،ولقدتوصلالمسلمونإلىالكلماتوصلإليهعلماءمناهجالبحثالتاريخيمننقدالنصوص داخلياوخارجيا، كماعرفواطرقالتحليلوالتركيبالتاريخية،وفحصالوثائق،ومنهجالمقارنةوالتقسيموالتصنيف.وأنجهودَإماماالحرمينالجوينيفيتطبيقمنهجنقدالنصعلىنصوصالتوراةوالأناجيلقدسُبِقَتبجهودغيرهممنعلماءالمسلمينكابنحزمالأندلسي،الذييعدبحقرائدالدراساتالنقديةللتوراة،وقداستفادكلاهمامنالقرآنالكريمالذيأتىبنظريتينأساسيتين: أحدهمانظريةالتحريفوالتبديل.

والأخرىنظريةتعددالمصادر؛فكانتهاتانالنظريتانعمادَالنقدالإسلامي،وأصبحتافيمابعدعمادالنقدالغربيفيعصريهالوسيطوالحديث. ويأتي كتاب (شفاءالغليلفيماوقعفيالتوراةوالإنجيلمنالتبديل)لإماماالحرمينالجوينيشاهداعلىنجاحهفيتطبيقمنهجنقدالنصالديني،وهذاالكتابيمكنإدراجه –كذلك – ضمنفنالردودأوعلمالردود،وهومنهجكلاميفيردشبهالخصومنأتباعالأديانالأخرى،وأيضاإثارةشبهحولعقائدهموكتبهم،وماوقعفيهامنتحريفوتبديل. وقداعتمد الإمام الجوينيالمنهجالنفسيفيتحليلالنصوصالدينيةونقدها،وهومنهجحديثسبقغيرَهفيتطبيقه.

وانتهى البحث إلىأنالجوينيبكتابهشفاءالغليلقدتناولمسألةإثباتالتبديلوالتحريففيكتباليهود(التوراة) وكتبالنصارى(الأناجيل). وذلكبحججوأدلةتعتمدمنجانبعلىنصوصهمالتييقدسونها،ومنجانبآخرعلىمنطقالعقلالصريح.

و أنه ينبغيالتفرقةبينالتوراةالربانيةالتيأُرسلبهاموسىUو التوراة – موضوعالبحث،التيدخلهاالتحريفوالتبديل – وأنهاقد مرتبتدوينهاتمختلفة،أثرتعللغتهاوحجمهاومضمونها،بحسبالظروفوالأحوال.

وأنالقولبعبريةاللسانالموسوييأمرٌليسيقينيا،ولعلالاحتمالالراجحأنلغةالتوراةفيعهدموسىUكانتمصرية (أياالهيروغليفية).

وأنهبالنظرإلىمراحلتدوينالتوراةيتضحأنالتوراةالحاليةهينتاجعملبشريقامبهأحباراليهودوبعضعلمائهم،معتمدينفيغالبالأمرعلىمصادرشفهيةتناقلوهاوتوارثوهابينهمزمنا طويلا. فضلاعماتطمحإليهنفوسهممنحبالرئاسةوالتنازععلىشهواتالدنيا.

ومنالأدلةالتيأثبتمنخلالهاالجوينيوقوعالتبديلوالتحريففيالتوراة،عقدُالمقارناتبينبعضنصوصالتوراةالعبرية(توراةاليهود) والتوراةالمسماةبالتوراةالسبعينيةأواليونانية(توراةالنصارى). وهو ماسمحلهبالوقوفعلىالعديدمنالاختلافاتبينهما،لاسيماماكانمنهامتصلابالأرقامالحسابية؛لأنالغالطفيالحسابلايقدرعلىالمدافعة.

كماارتكزمنهجالجوينيفينقدنصوصالأناجيلعلىبيانتناقضمضمونهامنجانب،وهومايعرفبالنقدالداخلي،وإظهارانقطاعسندهاإلىالسيدالمسيحUمنجانبآخر،وهومايعرفبالنقدالخارجي؛كذلكبهدفتأكيدتحريفهاوتبديلها.

وأخيرا فإنكتابشفاءالغليللإماماالجوينيقدفتحبابالبحثواسعاأمامبيانتناقضاتأخربينبنسخالتوراةبعضهاالبعض. وكذلكبينالأناجيلالمختلفة؛لإثباتماوقعفيهامنالتبديلوالتحريف.

وقد جاء محتوى البحث في: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.